

زيارة الرئيس السوري، حافظ الاسد، لموسكو في نيسان (ابريل) ١٩٧٤، حيث أشار بودغورني، بخلاف بريجينيف، بهذه المناسبة، الى الحقوق القومية للشعب الفلسطيني، وحذّر تحذيراً شديداً للهجة، من محادثات فصل القوات السورية - الاسرائيلية^(١١٩). غير ان هذه العبارة اصبحت، منذ زيارة كيسنجر مرة ثانية للشرق الاوسط، تشكل موقفاً رسمياً جديداً للسوفيات، أكدها بريجينيف بعد اسبوع من تلك الزيارة، في خطابه، في ١١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤، في مدينة كزمينيف، حيث أشار، لأول مرة، الى حق الفلسطينيين في وطن قومي؛ ثم أكد في خطابه في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤، محوراً العبارة الى كلمة «دولة»^(١٢٠).

ويبدو ان ممّا زاد في تقليص التآرجح في الموقف السوفياتي، أمران أساسيان: الاول، مؤتمر الرباط الذي عُقد في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤، ونصّت قراراته على الاعتراف الجماعي العربي بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلاً شرعياً وحيداً للشعب الفلسطيني؛ والثاني، خطاب عرفات في الجمعية العامة للامم المتحدة، في تشرين الثاني (نوفمبر) من العام عينه، والذي أثمر، في النهاية، حصول المنظمة على صفة مراقب في الامم المتحدة، عبر قرار جمعيتها العامة الرقم ٣٢٣٧، الذي أُصدر في ذلك الوقت.

وعلى الرغم من أهمية هذين التطورين، فمن المحتمل ان يكون تقليص التآرجح السوفياتي الذي لم يكن، على كل حال، مصحوباً بأي تعليق سوفياتي رسمي على حكومة فلسطينية في المنفى، له علاقة بمؤتمر الرباط؛ اذ كانت موسكو تخشى انهيار موقفها فيه، بسبب التآزم الخطير الذي حدث على جبهة العلاقات مع مصر، منذ الربيع الماضي، والاعتقاد العام بأن الرئيس المصري سوف يحث المؤتمر على قبول اسلوب «الخطوة خطوة» الذي أتبعه كيسنجر في تسوية النزاع العربي - الاسرائيلي، في الوقت الذي كان يبذل السوفيات جهودهم لعقد مؤتمر جنيف، فيما كانت الولايات المتحدة الاميركية تحاول تشجيع المحادثات لاتفاق اردني - اسرائيلي، أو اتفاقية مصرية - اسرائيلية أخرى. لهذه الاسباب، لا عجب ان يسعى السوفيات الى تقوية مركزهم، على الاقل لدى العرب «الراديكاليين» قبل اجتماع القمة العربية، أملاً في ان يواجهوا المناقشات التي يمكن للمسادات ان يقدمها من اجل افضال أي اتفاق في الاجراءات أو المناقشات التي قد تستهدف استبعاد الدور السوفياتي من عملية التسوية في المنطقة^(١٢١).

وكما رأينا سابقاً، فقد سبق هذا التحرك تأييد سوفياتي لاقامة دولة فلسطينية، واعتراف مباشر ضعيف بمنظمة التحرير الفلسطينية، جاء في خطاب بريجينيف، الذي أشار الى المنظمة، لأول مرة، بالاسم، بل وذكره المنظمة على انها أحد الاطراف في مفاوضات الشرق الاوسط، الى جانب الدول العربية، وعلى قدم المساواة معها^(١٢٢). غير ان المعلقين السوفيات الذين أشاروا الى رغبة واشنطن في نسج الاتفاقيات الجزئية، مستبعدة بعض الاطراف من طاولة المفاوضات، بيّنوا ان ذلك، على الاقل، كان أحد الاسباب الرئيسة لدعم الفلسطينيين، حيث كان الهدف منه عرقلة المكاسب الاميركية في الشرق الاوسط. وعلى الرغم من ذلك، فقد تركت موسكو الباب مفتوحاً للمساومة، كي يصبح عقد مؤتمر جنيف ممكناً، حتى انها لم تعد تذكر متى يمكن للفلسطينيين ان يشاركوا فيه، مع ان بياناً أُصدر في ختام زيارة وزير الخارجية المصرية، اسماعيل فهمي، للعاصمة السوفياتية، في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤، أكد اشراكهم بصفة مستقلة، وعلى قدم المساواة في الحقوق مع باقي الاطراف المشاركة في مؤتمر جنيف للسلام الخاص بالشرق الاوسط، «الذي يعمل الجانبان، المصري والسوفياتي، من اجل استئناف أعماله في أقرب وقت ممكن»^(١٢٣).